﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ٦٠﴾

[الزخرف: 60]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بعدما أشارت الآيةُ السّابقةُ إلى إبطال ضلالةِ الَّذين زعموا عيسى عليه السلام ابنًا لله تعالى، بقصره على كونه عبدًا لله، أنعم الله عليه بالرِّسالة، وجعله عِبرةً ومثلًا لبني إسرائيلَ؛ ناسب أن يُعَقِّبَ ذلك بإبطال ما يُماثل تلك الضَّلالة، وهي ضلالة بعض المشركين في ادِّعاء بنوَّةِ الملائكة لله، المُتقدِّم حكايتُها في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًا﴾ [الزخرف: 15]، ببيان أنَّ الملائكة عبادٌ لله جعل مكانَهم العوالم العليا، وأنَّه لو شاء؛ لجعلهم من سكّانِ الأرض يخلفون النّاس، ويتوالدون مثلَهم[1].

إبطالُ ألوهيَّةِ الملائكةِ وبنوَّتِها لله، كما سبق إبطالُ ألوهيَّةِ المسيحِ وبنوَّتِه لله

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَّلَٰٓئِكَةٗ﴾: (ألك) أصلٌ واحِدٌ، هو تَحَمُّلُ الرِّسالَةِ، فالألوكُ الرِّسالةُ، وهيَ المَألَكَةُ عَلى مَفعلَةٍ، وسُمِّيت الرِّسالَةُ ألوكًا؛ لأنَّها تُؤْلَكُ في الفَم، مُشْتَقٌّ مِن قَولِ العَرَب: الفَرَسُ يَأْلُكُ باللِّجام، ويَعْلُكُهُ؛ إذا مَضَغَ الحَدِيدَةَ[2]، وألِكْني إلى فلان: أبْلِغْه عنّي، والمَلأكُ: المَلَكُ؛ لأنَّه يبلغ الرِّسالة عن الله تعالى، فحُذفت الهمزة، وأُلقيت حركتها على السّاكن قبلها، والجمع: ملائكة، جَمَعوه مُتَمَّمًا، وزادوا الهاءَ للتَّأنيث، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: 31]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًا﴾ [آل عمران: 80]، أمّا قوله عز وجل: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا﴾ [الحاقة: 17]؛ فقد عُنيَ به الجنس[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 241.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ألك).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ألك).

2) ﴿يَخْلُفُونَ﴾: (خلف) أُصولٌ ثَلاثَةٌ: أَحَدُها: أن يَجيءَ شَيءٌ بَعدَ شَيءٍ يَقومُ مَقامَهُ، والخَلَفُ: ما جاءَ بَعدُ، يَقولونَ: هوَ خَلَفُ صِدْقٍ مِن أبيه، وخَلَفُ سَوءٍ مِن أبيه، فَإذا لَم يَذْكُروا صِدْقًا ولا سَوْءًا؛ قالوا لِلجَيِّدِ: خَلَفٌ، ولِلرَّدِيِّ: خَلْفٌ، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: 169][1]، وخَلَفَ فلانٌ فلانًا: قام بالأمر عنه، إمّا معه، وإمّا بعده، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾، أي: يخلفونكم مثل أولادكم[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اللهُ تعالى قادرٌ على أن يأتيَ بما هو أعجبُ مِن خَلقِ المسيحِ

تبيِّن الآيةُ الكريمةُ أنَّه لو يشاء اللّه؛ لجعل بدلكم - أيُّها المشركون - ملائكةً في الأرض يخلفونكم في عمارتها، فهو على كلِّ شيء قدير، ولو يشاء؛ لجعل منكم - يا رجال مكَّةَ - ملائكة مع أنَّها ليست من جنسكم كما خلق عيسى بلا أبٍ، ملائكة تخلفكم في عمارة الأرض، كما تخلفكم أولادكم؛ لتعلموا أنَّ اللّه هو القادر، ولتعلموا أنَّ الملائكة خلقٌ مِن خلْقِ اللّه، فكيف يعبدون؟ وبأيِّ شكل تقولون: إنَّهنَّ بنات اللّه؟[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

نوعُ الواو ودلالتها في أوَّل الآية:

الخالقُ والمتصرِّف هو الحقيق بالعبادة وحده دون المخلوق

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾؛ لعطف ما بعدها على جملة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ إذ الجملتان تأتيان في سياق بيان قدرة اللّه على الإتيان بعجائب الأمور وبدائع الفطر، فالجملةُ المعطوفُ عليها تبيِّنُ قدرةَ اللّه على إيجاد المسيح على نحوٍ عجيبٍ يجعله مثلًا سائرًا، والجملةُ المعطوفةُ تبيِّن قدرتَه تعالى على إنزال الملائكة من السَّماء لخلافة خلقهِ في الأرض، وتوالدهم كما يتوالد

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 52.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، مفردات القرآن: (خلف).
(3) الحجازي، التفسير الواضح: 3/ 402.

الخلق، ما يعني: أنَّ المسيحَ والملائكةَ من عباد الله ومخلوقاته، وليس أحدٌ منهم إلهًا على الإطلاق.

دلالةُ التَّعبيرِ بحرف الشَّرط (لَوْ):

إنـزالُ الملائكةِ إلى الأرض أمرٌ مرتبطٌ بإرادة الله، وليس مرتبطًا بأهواء النّاس

(لَوْ) في قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾ حرفُ شرط يفيد تعليقَ حصول الجواب على حصول فعل الشَّرط[1]، وفي التَّعبير به دلالةٌ على أنَّ إنزالَ الملائكة من السَّماء إلى الأرض، وجَعْلَهم يخلفون الخلقَ، كما يخلفهم أولادُهم، أمرٌ راجعٌ إلى إرادة الله ومشيئته، وليس مردُّه إلى رغباتِ النّاسِ وأهوائِهم، فمتى شاءه اللهُ؛ حصل، ووقع، كما شاء خَلْقَ عيسى مِن أمٍّ بلا أبٍ، فَحَصَلَ، ووقع.

نكتةُ التَّعبير بالمضارع فعلًا للشَّرط:

مشيئةُ الله لم تزل ممكنةً بأن يعوِّض للملائكة سُكنى الأرض

عبَّر النَّظمُ في جملةِ الشَّرط بالفعل المُضارع، فقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾؛ للدَّلالة على دوام قدرة الله على تجديد الإبداع[2]، ما يعني: أنَّ مشيئَتَه لم تزل ممكنةً بأن يعوِّض للملائكة سُكنى الأرض[3]، وأنَّ هذا الأمرَ مِن الممكن أن يحدثَ في أيِّ وقتٍ.

دلالةُ التَّعبير بفعل الجَعْل مسندًا إلى ضمير العظَمة:

جَعْلُ الملائكةِ يخلفون النّاسَ في الأرضِ أمرٌ سهلٌ على اللهِ

في التَّعبير بالفعل: (جَعَلْنا) الدّال على الخلق والتَّصيير - كما سبق بيانه - مُسْنَدًا إلى ضمير العظمة دلالةٌ على ما في إنزال الملائكة إلى الأرض وجعْلِهم يخلفون النّاس من باهر القدرة، وعجيب الصُّنعة، والتَّفوُّق في الغرابة والدَّهشة على ما كان في خلق المسيح عليه السلام[4]، وفي إسناده إلى ضمير الحقِّ بصيغة التَّعظيم دلالةٌ على سهولته على اللهِ ﷻ، وتأكيدٌ لارتباطِه بمشيئته، وخضوعِه لإرادته.

(1) المرادي، الجنى الداني، ص: 274.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 459.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 242.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 459.

معنى (مِنْ) في: ﴿مِنكُم﴾:

(مِنْ) في قوله: ﴿مِنكُم﴾ حرفُ جرٍّ يدلُّ هنا على البدليَّة والعِوَض كالَّتي في قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [التوبة: 38]، أي: بدل الآخرة، والمعنى: لجعلنا بدلكم ملائكة[1]، ويمكن أن تكون ابتدائيَّةً بمعنى: (جعْلًا مبتدئًا منكم، إمّا بالتَّوليد كما جعَلْنا عيسى عليه السلام من أنثى من غير ذكر، وجعَلْنا آدم عليه السلام من تراب من غير أنثى ولا ذكر).

تغييرُ الأمور وتقليبها من حال إلى حال بيد الله تعالى وحده

سرُّ تقديم الجارّ والمجرور ﴿مِنكُم﴾ على المفعول:

قولُه: ﴿مِنكُم﴾ جارٌّ ومجرور متعلِّقان بالفعل: ﴿لَجَعَلۡنَا﴾، وجيء به مقدَّمًا على المفعول ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾؛ للاهتمام بمعنى كون الملائكة بدلًا من الخلق وتأكيده، ولتتعمَّق أفهام السّامعين في تدبُّره[2].

تعميقُ أفهام السّامعين في تدبُّر كون الملائكة بدلًا من النّاس

وجهُ تنكيرِ المفعول ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾ وجمعه:

جيء بمفعول فعل الجعل ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾ نكرةً منوَّنًا للتَّعظيم والتَّكثير، ما يعني: أنَّه من غير المستبعد أن يحلَّ الملائكةُ محلَّ الخلق أجمعين، مهما بلغ عددُهم، ومهما كانت طاقاتُهم وإمكاناتُهم.

اللهُ تعالى قادرٌ على أن يُحِلَّ الملائكةَ محلَّ الخلق أجمعين

دلالةُ التَّعبير بالجارّ والمجرور: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾:

قولُه: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ جارٌّ ومجرورٌ متعلِّقان بـ ﴿لَجَعَلۡنَا﴾ أو بـ﴿يَخۡلُفُونَ﴾، وفي التَّعبير به تأكيدٌ لكلا الفعلين، وزيادةٌ في التَّعجيب؛ إذ من المعروف أنَّ الملائكةَ من أهل السَّماء، ونزولُهم إلى الأرض ممّا يُطالِب به المشركون الرُّسلَ من باب التَّعجيز، لكنَّ البيانَ هنا يؤكِّد من خلال الجار والمجرور إمكانَ حصول هذا الأمر المعجز العجيب بكلِّ يسرٍ وسهولةٍ؛ متى أراده اللّهُ جلَّ في علاه.

تأكيدُ نزولِ الملائكةِ من السَّماءِ إلى الأرض متى أراده اللهُ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 385، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 242.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 242.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل: ﴿يَخْلُفُونَ﴾ مضارعًا:

الملائكةُ والمسيحُ كلاهما بعيدٌ عن رتبة الأُلوهيَّة

قولُه تعالى: ﴿يَخْلُفُونَ﴾ جملة في محلِّ نصب صفة لـ ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾، أوثر التَّعبير به؛ ليكون بيانًا لقوله: ﴿مِنكُم﴾، ومعناه: يكونون خَلَفًا لكم شيئًا بعد شيء بعد إعدامكم، فجعلناهم مثلًا لكم، كما جعلنا عيسى ﷺ مثلًا لبني إسرائيل، ويجوز أن يكون المعنى: لجعلنا بعضَكم ملائكةً بأن نُحَوِّل خِلقتَهم، فنجعلهم خَلَفًا لمَن تحوَّلوا عنهم، ونُخْلِف بعضَهم بعضًا، فإنَّهم من جملة عبادنا أجسامٌ تقبَل التَّوليد، كما تقبَل الإبداع، وعلى كلا التَّقديرين، فذلك إشارةٌ إلى أنَّ الملائكةَ ذواتٌ ممكنةٌ من جملة عبيد الله، يَصَرِّفُهُم في مراده إن شاء في السَّماء، وإن شاء في الأرض، لا شيء منهم إلّا وهو بعيد جدًّا عن رتبة الإلهيَّة؛ إرشادًا لهم إلى الاعتقاد الحقِّ في أمره سبحانه، بشمول قدرتِه وكمال علمِه اللّازم منه أنَّه لا إلهَ إلّا هوَ[1].

وأوثر التَّعبير بالفعل: ﴿يَخْلُفُونَ﴾ مضارعًا؛ لاستحضار صورة الملائكة، وهي تسكنُ الأرض، وتتكاثرُ فيها، وتعمرُها، وتقوم بكلِّ الوظائف الَّتي كان يقوم بها الخلق، فيتأكَّد لدى المُغالين فيهم أنَّهم ليسوا آلهةً، وأنَّ شأنَهم شأنُ خلقِ اللهِ تعالى وعبيدِه، تمامًا بتمام.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 459، و460.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"